فَتْح مَكَّة

شَرَّفها الله وعَظَّمها

قال البكّائي، عن ابن إسحاق[1] : ثم إنّ بني بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة عَدَتْ على خُزَاعَة، وهم على ماءٍ بأسفل مكة يقال له الوَتير. وكان الذي هاج ما بين بكر وخُزَاعة أن رجلاً من بني الحَضْرَميّ خرج تاجراً، فلما توسّط أرضَ خُزاعة عَدَوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله. فَعَدَتْ بنو بكرٍ على رجلٍ من خُزاعةَ فقتلوه، فَعَدَتْ خُزاعة قُبَيْل الإسلام على سُلْمَى وكلثوم وذُؤَيْب بني الأسود بن رَزْن الدّيليّ، وهم مَفْخر بني كِنانة وأشرافهم، فقتلوهم بعَرَفَة.

فبينا بنو بكر وخُزاعة على ذلك حَجَز بينهم الإسلام، وتشاغل النَّاسُ به. فلما كان صُلح الحُدَيْبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وَشَرَطَ لهم أنّه مَن أحبَّ أنْ يدخلَ في عقد رسولِ الله وعهده فلْيدْخُلْ معه، ومن أحبّ أنْ يدخل في عقد قريش وعهدهم فلْيدْخل فيه. فدخلت بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خُزاعة في عقد رسول الله ﷺ مؤمنُها وكافرُها.

فلما كانت الهدنةُ اغتنمها بنو الدَّيْل، أحد بني بكر من خُزاعة، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك الإخوة. فخرج نوفل بن معاوية الدَّيليّ في قومه حتى بَيَّتَ خُزاعة على الوَتِير، فاقتتلوا. ورَدَفَتْ قريشٌ

---

(١) ابن هشام ٢/ ٣٨٩.

بني الدِّيل بالسلاح، وقومٌ من قريش أعانت خُزاعة بأنفسهم، مُسْتَخْفين بذلك، حتى حازوا خُزاعة إلى الحَرَم. فقال قومُ نوفل له: اتقِ إلهكَ ولا تَسْتَحِلَّ الحَرَم. فقال: لا إلهَ ليَ اليومَ، والله يا بني كِنانة إنّكم لَتَسْرِقون في الحَرَم، أفلا تصيبون فيه ثأركم؟ فقتلوا رجلاً من خُزاعة. ولجأت خُزاعة إلى دار بُدَيْل بن وَرقاء الخُزَاعي، ودارِ رافع مولى خُزاعة.

فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خُزاعة، كان ذلك نقْضاً للهُدنة التي بينهم وبين رسول الله ﷺ. وخرج عَمْرو بن سالم الخُزاعيّ فقدم على النّبيّ ﷺ في طائفةٍ مُستغيثين به، فوقف عَمْرو عليه، وهو جالس في المسجد بين ظَهْرَي النَّاس، فقال[1]:

يـا ربّ إنّـي نـاشـدٌ محمَّـداً ... حِلْـفَ أبينـا وأبيـه الأتْلَـدا
قـد كنتُـمُ ولـداً وكنّـا والـداً ... ثُمَّتَ أسْلَمنا فلم ننزعْ يَدَا
فانصُرْ هَدَاكَ الله نَصْراً أعْتَدَا ... وادْعُ عبـادَ الله يـأتُـوا مَـدَا
فيهـم رسـولُ الله قـد تجـرَّدا ... إنْ سِيمَ خَسْفاً وجْهُهُ تَرَبَّدَا
في فَيْلقٍ كالبحر يجري مُزْبدا ... إنَّ قُـريشـاً أخْلفوكَ المَوْعِـدا
ونقضـوا ميثـاقَـكَ المُـؤَكَّـدا ... وجعلوا لي في كَدَاءٍ رَصَدا
وزعموا أنْ لستُ أدعو أحدَا ... وهـم أذَلُّ وأقَـلُّ عَـدَدا
هـم بَيَّتُـونـا بـالـوَتِيـرِ هُجَّـدا ... وقَتَّلُـونـا رُكَّعـاً وسُجّـداً
فانصُرْ، هداكَ الله، نصراً أيِّدا

فقال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتَ يا عَمْرو بن سالم».

ثم عَرَضَ لرسول الله ﷺ عَنان من السماء، فقال: إنّ هذه السحابة لتستهلُّ بنصرِ بني كعب؛ يعني خُزَاعة. رواه أطولَ من هذا يونس بن

---

(١) ابن هشام ٢/ ٣٩٤.

بكير، عن ابن إسحاق، عن الزهري سماعاً، عن عروة، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم.

وقال ابن إسحاق: ثم قدم بُدَيل بن وَرْقاء في نفرٍ من خُزاعة على النَّبيِّ ﷺ فأخبروه. وقال رسول الله ﷺ: كأنَّكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشدّ العقْدَ ويزيد في المُدَّة. ومضى بُدَيْل وأصحابه فلقوا أبا سُفْيان بن حرب بعُسْفان، قد جاء ليشدّ العقد ويزيد في المدّة، وقد رَهِبوا الذي صنعوا. فلمّا لقيَ بُدَيْل بن وَرْقَاء، قال: من أين أقبلت يا بُدَيْل؟ وظنّ أنّه أتى رسول الله ﷺ، فقال: سرتُ في خُزاعة على الساحل. فقال: أوَ ما جئتَ محمّداً؟ قال: لا. فلما راح بُدَيْل إلى مكة قال أبو سفيان: لئن كان جاء إلى المدينة لقد علف بها النَّوى. فأتى مَبْرَك راحلته فَفَتَّه فرأى فيه النَّوى، فقال: أحلِفُ بالله لقد أتى محمَّداً.

ثم قدِم أبو سُفيان المدينةَ فدخل على ابنتِه أمِّ حبيبةَ أُمِّ المؤمنين. فلما ذهب ليجلس على فراشِ رسولِ الله ﷺ طَوْتْه عنه، فقال: ما أدري أرَغِبْتِ بي عن هذا الفراش أم رغبتِ به عَنِّي؟ قالت: بل هو فراشُ رسولِ الله ﷺ، وأنت رجلٌ مُشْرِكٌ، نجس. قال: والله لقد أصابكِ يا بُنَيَّةُ بعدي شَرٌّ.

ثم خرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ فلم يردَّ عليه شيئاً. فذهب إلى أبي بكر فكلَّمه أنْ يكلِّمَ له رسولَ الله ﷺ فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتى عمرَ فكلَّمه فقال: أأنا أشفعُ لكم إلى رسولِ الله ﷺ! فَوَالله لو لم أجد إلاّ الذَّرَّ لجالَدْتُكُم عليه. ثم خرج حتى أتى عليّاً رضي الله عنه وعنده فاطمة وابنها الحَسَن وهو غلام يَدِبّ، فقال: يا عليّ إنّك أمَسُّ القوم بي رَحِماً، وإنّي قد جئتُ في حاجةٍ فلا أرجعنّ كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى رسول الله. فقال: وَيْحَك يا أبا سفيان، لقد عزم رسول الله ﷺ على

أمرٍ ما نستطيع أن نكلّمه فيه. فالتفت إلى فاطمة فقال: يا ابنةَ محمد، هل لكِ أن تأمري بُنَيَّكِ هذا فيجير بين النّاس فيكون سيّد العرب إلى آخر الدَّهر؟ قالت: والله ما بلغ بُنيَّ ذلك، وما يجير أحدٌ على رسول الله ﷺ.

قال: يا أبا حَسَن، إنّي أرى الأمور قد اشتدّت عليَّ فانصحني. قال: والله ما أعلمُ شيئاً يُغني عنكَ، ولكنَّك سيّد بني كِنانة، فقُم فأجِرْ بين النّاس ثم الْحَقْ بأرضك. قال: أو ترى ذلك مُغْنِياً عنّي شيئاً؟ قال: لا والله ما أظنُّه، ولكنْ لا أجدُ لكَ غير ذلك. فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيّها النّاس إنّي قد أجَرْت بين النّاس، ثم ركب بعيره وانطلق، فلما قَدِمَ على قريش، قالوا: ما وراءك؟ فقصَّ شأنَه، وأنّه أجار بين النّاس. قالوا: فهل أجازَ ذلك محمدٌ؟ قال: لا. قالوا: والله إنْ زاد الرجلُ على أنْ لَعِبَ بك.

ثم أمر رسول الله ﷺ بالجهاز، وأمر أهله أن يجهّزوه. ثم أعلم النّاسَ بأنّه يريدُ مكة، وقال: اللَّهُمَّ خُذ العيونَ والأخبارَ عن قريش حتى نَبْغَتَهُم في بلادهم.

فعن عُرْوة وغيره، قالوا: لما أجمع رسولُ الله ﷺ السَّيرَ إلى مكة، كتب حاطبُ بن أبي بلتعة إلى قريش بذلك مع امرأةٍ، فجعلته في رأسها ثم فَتَلَتْ عليه قُرُونها ثم خرجتْ به. وأتى النّبيَّ ﷺ الوحيُ بفعْله، فأرسل في طلبها عليّاً والزُّبير. وذكر الحديث.

أخبرنا محمد بن أبي الحَرَم القُرشيّ وجماعة، قالوا: حدثنا الحَسَنْ ابن يحيى المخزومي، قال: حدثنا عبدالله بن رِفاعة، قال: أخبرنا عليّ ابن الحَسَن الشافعيَّ، قال: أخبرنا عبدالرحمن بن عمر بن النّحّاس، قال: أخبرنا عثمان بن محمد السمرقندي، قال: حدثنا أحمد بن

شَعْبان، قال: حدثنا سُفيان، عن عَمْرو بن دينار، عن حسن بن محمد، قال: أخبرني عُبَيْدالله بن أبي رافع ـ وهو كاتب عليّ ـ قال: سمعت عليّاً رضي الله عنه يقول: بعثني النّبيُّ ﷺ أنا والزُّبَيْر والمِقْداد، قال: انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخ، فإنَّ بها ظعينةً معها كتَابٌ فَخُذُوه منها.

فانطلقنا تَعَادَى بنا خيلُنا حتى انتهينا إلى الرَّوْضة. قلنا: أَخْرِجي الكتابَ، قالت: ما معيَ كتابٌ، قلنا: لَتُخْرِجِنَّ الكتابَ أو لَتَقْلَعِنَّ الثيابَ. فأخرجته من عِقاصها[1]، فأتينا به النّبيَّ ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بَلْتَعَة إلى أُناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النّبيِّ ﷺ فقال النبيّ ﷺ: «يا حاطِب ما هذا»؟ قال: يا رسول الله لا تَعْجَلْ، إنّي كنت امرأً مُلْصَقاً في قريش ولم أكن من أنْفُسها، وكان مَن كان من المهاجرين معكَ لهم قراباتٌ يَحْمُون بها أهليهم بمكة، ولم يكن لي قَرابةٌ، فأحببتُ أن أتَّخذَ فيهم يداً ـ إذ فاتني ذلك ـ يحمون بها قرابتي، وما فعلتُه كُفْراً ولا ارتداداً ولا رِضاً بالكُفْر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «إنّه قد صَدَقَكُمْ». فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله دَعْني أضرب عُنُقَ هذا المنافق. قال: «إنه قد شهد بدراً، وما يُدريكَ لعلَّ الله تعالى اطَّلع على أهلِ بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم».

أخرجه البخاري[2] عن قتيبة، ومسلم[3] عن ابن أبي شَيْبة، وأبو داود[4] عن مسدّد، كلّهم عن سُفيان.

أبو حُذَيفة النَّهدي: حدثنا عِكْرِمة بن عمّار، عن أبي زُمَيْل، عن ابن عبّاس، قال: قال عمر: كتبَ حاطب إلى المشركين بكتابٍ فَجِيءَ به إلى

---

(١) أي: ضفيرة شعرها.
(٢) البخاري ٤/ ٧٢ و ٦/ ١٨٥. وانظر المسند الجامع حديث (١٠٢٨٣).
(٣) مسلم ٧/ ١٦٧.
(٤) أبو داود (٢٦٥٠).

النّبيِّ ﷺ فقال: «يا حاطب ما دعاكَ إلى هذا؟ قال: كان أهلي فيهم وخشيتُ أنْ يَصْرِمُوا عليهم، فقلتُ: أكْتبُ كتاباً لا يضرُّ اللهَ ورسولَهُ. فاخترطتُ السيف فقلت: يا رسولَ الله، أضرب عُنُقَه فقد كَفَرَ. فقال: «وما يُدْريك لعلَّ الله اطَّلعَ إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم». هذا حديث حسن.

وعن ابن إسحاق نحوه[1]، وزاد: فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ۝١﴾ [الممتحنة].

وعن ابن إسحاق[2]، قال: وعن ابن عبّاس، قال: ثم مضى رسولُ الله ﷺ لسَفَره، واستعمل على المدينة أبا رُهْم الغِفاريّ. وخرج لعشْرٍ مضين من رمضان. فصام وصام النّاسُ معه، حتى إذا كان بالكَدِيد، بين عُسّفان وأمَج أفطر.

اسم أبي رُهْم: كُلْثوم بن حُصَيْن.

وقال سعيد بن بشير، عن قَتَادَة: أنَّ خُزاعة أسلمت في دارهم، فقبل رسول الله ﷺ إسلامَها، وجعل إسلامها في دارها.

وقال سعيد بن عبدالعزيز، وغيره: إنَّ رسولَ الله ﷺ أدخل في عهده يومَ الحُدَيبية خُزَاعة.

وقال الوليد بن مسلم: أخبرني من سمع عَمْرو بنَ دينار، عن ابن عمر، قال: كانت خُزاعة حِلْفَ رسولِ الله ﷺ، ونُفَاثة حِلْفَ أبي سُفيان. فعَدَتْ نُفَاثةُ على خُزاعة، فأمدَّتها قريش. فلم يَغْزُ رسولُ الله ﷺ قريشاً حتى بعث إليهم ضَمْرة، فخيّرهم بين إحدى ثلاثٍ: أن يَدُوا قَتْلَى خُزاعة، وبين أن يبرأوا من حِلْف نفاثة، أو يَنْبِذ إليهم على سَوَاء. قالوا:

---

(١) ابن هشام ٢/ ٣٩٩.

(٢) ابن هشام ٢/ ٣٩٩.

نَنْبِذ على سواء. فلّما سار نَدِمت قريش، وأرسلت أبا سُفيان يسأل تجديد العهد.

وقال ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوة، قال: كانت بين نُفَاثة من بني الدَّيل، وبين بني كعب، حربٌ. فأعانت قريش وبنو كِنانة بني نُفاثة على بني كعْب. فنكثوا العهدَ إلاّ بنو مُدْلِج، فإنّهم وفوا بعهد رسول الله ﷺ. فذكر القصّة، وشعر عَمْرو بن سالم. فقال رسول الله ﷺ: «لا نُصِرْتُ إنْ لم أنصر بني كعب مما أنصر منه نفسي». فأنشأت سحابةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ هذه السحابة تستهلّ بنصر بني كعب، أبصروا أبا سُفيان فإنّه قادم عليكم يلتمس تجديدَ العهد والزيادَة في المدّة»[1].

فأقبل أبو سُفيان، فقال: يا محمد جدّد العهد وزدْنا في المدّة. فقال رسول الله ﷺ: «أوَ لذلكَ قَدِمْتَ؟ هل كان من حَدَثٍ قبلكم؟» قال: مَعَاذَ الله. قال رسول الله ﷺ: «فنحن على عهدنا وصُلْحنا». ثم ذكر ذهابه إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وأنَّه قالَ له: أنتَ أكبرُ قريشٍ فأجِرْ بَيْنَها. قال: صدقت إنِّي كذلك فصاح: ألا إنِّي قد أجَرْتُ بين النَّاس، وما أظنُّ أنْ يُرَدَّ جِواري ولا يُخْفَر بي. قال: أنت تقول ذاك يا أبا حنظلة؟ ثم خرج. فقال النَّبيُّ ﷺ حين أدبر: «اللَّهُمَّ سُدَّ على أبصارهم وأسماعهم فلا يروني إلاّ بغتةً». فانطلق أبو سُفيان حتى قَدِمَ مكةَ فحدَّثَ قومَهُ، فقالوا: رَضِيَت بالباطل وجئتنا بما لا يغني عنَّا شيئاً، وإنّما لعب بك عَليٌّ.

وأغْبَرَ[2] رسولُ الله ﷺ في الجَهَازِ، مُخْفِياً لذلك. فدخل أبو بكر على ابنته، فرأى شيئاً من جهاز رسول الله ﷺ، فأنكر وقال: أين يريدُ

---

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٧٩١، وطبقات ابن سعد ٢/ ١٣٤.

(٢) أي: جَدَّ في الاستعداد والتَّجَهُّزِ.

رسولُ الله؟ فقالت عائشة: تجهَّزْ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ غازٍ قومك، قد غضب لبني كعب. فدخل رسول الله ﷺ فأشفقت عائشةُ أنْ يسقط أبوها بما أخبرته قبل أن يذكره رسولُ الله ﷺ، فأشارت إلى أبيها بعينها، فسكت. فمكث رسولُ الله ﷺ ساعةً يتحدّث مع أبي بكر، ثم قال: «تجهَّزتَ يا أبا بكر»؟ قال: لماذا يا رسولَ الله؟ قال: «لغزوِ قريش، فإنّهم قد غدروا ونقضوا العهد، وإنّا قوم غازون إن شاء الله».

وأُذِّن في النّاس بالغَزْو، فكتب حاطب إلى قريش فذكر حديثه. وقال: ثم خرج رسول الله ﷺ في اثنَيْ عشر ألفاً من المهاجرين، والأنصار، وأسلم، وغِفَار، ومُزَيْنة، وجُهَيْنة، وبني سُلَيْم، وقادوا الخيولَ حتى نزلوا بمَرّ الظَّهْران، ولم تَعْلم بهم قريش، قال: فبعثوا حكيم بن حِزام وأبا سُفيان وقالوا: خذوا لنا جواراً أو آذنونا بالحرب. فخرجا فلقيا بُدَيْل بن وَرْقاء فاستصحباه، فخرج معهما حتى إذا كانوا بالأراك بمكة، وذلك عِشاءً، رأوا الفَسَاطِيطَ والعسكر، وسمعوا صهيلَ الخَيْل ففزعوا. فقالوا: هؤلاء بنو كعب جاشت بهم الحرب. قال بديل: هؤلاء أكثر من بني كعب، ما بلغ تأليبُها هذا.

وكان النّبيّ ﷺ قد بعث بين يديه خيلاً لا يتركون أحداً يمضي. فلما دخل أبو سفيان وأصحابُه عسكرَ المسلمين أخذتهم الخيلُ تحت اللَّيل وأتوا بهم. فقام عمر إلى أبي سُفيان فَوَجأ عُنُقَه، والتزمه القومُ وخرجوا به ليدخلوا على النّبيّ ﷺ به، فحبسه الحَرَسُ أن يخلصَ إلى رسول الله ﷺ، وخاف القتْلَ، وكان العبّاس بن عبدالمطّلب خالصةً له في الجاهلية، فنادى بأعلى صوته: ألا تأمر بي إلى عبّاس؟ فأتاه عباس فدفع عنه، وسأل النّبيّ ﷺ أن يقبضه إليه. فركب به تحت اللّيل، فسار به في عسكر القوم حتى أبصره أجمع. وكان عمر قال له حين وَجَأه: لا تَدْن من رسول الله ﷺ حتى تموت. فاستغاث بالعبّاس وقال: إنّي مقتول.

فمنعه من النّاس. فلما رأى كثرة الجيش، قال: لم أر كاللّيلة جَمْعاً لقومٍ. فخلَّصه عبَّاس من أيديهم، وقال: إنّك مقتول إنْ لم تُسْلم وتَشْهد أنّ محمداً رسول الله، فجعل يريد أن يقول الذي يأمره به عبَّاس، ولا ينطلق به لسانه وبات معه.

وأما حكيم وبُدَيْل فدخلا على رسول الله ﷺ فأسلما. وجعل يستخبرهما عن أهل مكّة.

فلما نُودِي بالفجر تَحسَّس القومُ، ففزع أبو سفيان وقال: يا عبّاس، ما يريدون؟ قال: سمعوا النِّداء بالصلاة فَتَيَسَّرُوا لحضور النَّبيِّ ﷺ فلمّا أبصرهم أبو سُفيان يمرُّون إلى الصَّلاة، وأبصرهم يركعون ويسجدون إذا سجد النَّبيُّ ﷺ، قال: يا عبَّاس، ما يأمرهم بشيءٍ إلاّ فعلوه؟! فقال: لو نهاهم عن الطّعام والشّراب لأطاعوه. فقال: يا عبّاس، فكلِّمه في قومك، هل عنده من عفو عنهم؟ فانطلق عبّاس بأبي سُفْيان حتى أدخله على النّبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان، فقال أبو سفيان: يا محمد إني قد استنصرت بإلهي واستنصرتَ الهكَ، فَوَالله ما لقِيتُكَ من مرَّةٍ إلاّ ظهرت عليّ، فلو كان إلهي مُحِقّاً وإلهك باطلاً ظهرتُ عليك، فأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله.

وقال عبّاس: يا رسول الله إنِّي أحبُّ أنْ تأذنَ لي إلى قومكَ فأُنذرهم ما نزل بهم، وأدعوهم إلى الله ورسوله. فأذِن له. قال: كيف أقول لهم؟ قال: «مَنْ قال لا إله إلاّ الله وحده لا شريكَ له، وشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، وكَفَّ يده، فهو آمنٌ، ومَن جلس عند الكعبة ووضع سلاحه فهو آمن، ومَن أغلق عليه بابَه فهو آمن». قال: يا رسول الله، أبو سُفيان ابن عَمِّنا، فأحبُّ أنْ يرجع معي، فلو خصصته بمعروف. فقال: مَنْ دَخلَ دارَ أبي سفيان فهو آمن. فجعل أبو سُفيان يستفهمه. ودار أبي سفيان بأعلى مكة. وقال: مَن دخل دارَك يا حكيم فهو آمن. ودار حكيم

في أسفل مكة.

وحمل النَّبيُّ ﷺ العبَّاسَ على بغلتِهِ البيضاء التي أهداها إليه دِحْية الكلبيُّ، فانطلق العبَّاسُ وأبو سُفيان قد أردفه. ثم بعث النبيّ ﷺ في إثره، فقال: أدرِكُوا العبَّاسَ فرُدُّوه عليَّ. وحَدَّثهم بالذي خافَ عليه. فأدركه الرسول، فكره عبّاس الرجوعَ، وقال: أترهبُ يا رسولَ الله أنْ يرجع أبو سفيان راغباً في قِلَّةِ النَّاس فيكفر بعد إسلامه؟ فقال: احبسْه فحبسه. فقال أبو سفيان: غدراً يا بني هاشم؟ فقال عبَّاس: إنَّا لَسْنا بِغُدر، ولكن لي إليك بعض الحاجة. قال: وما هيَ، فأقضيها لك؟ قال: إنَّما نفاذها حين يَقْدَم عليك خالدُ بن الوليد والزُّبَيْر بن العَوَّام. فوقف عبَّاس بالمَضيقِ دون الأراك، وقد وَعَى منه أبو سُفيان حديثه.

ثم بعث رسولُ الله ﷺ الخيلَ بعضَها على إثر بعض، وقسم الخيلَ شَطْرين، فبعث الزُّبَير في خيلٍ عظيمة. فلما مَرُّوا بأبي سفيان قال للعبّاس: مَن هذا؟ قال: الزُّبَير. وردفه خالد بن الوليد بالجيش من أسْلَمْ وغِفَار وقُضاعة، فقال أبو سُفيان: أهذا رسول الله ﷺ يا عبّاس؟ قال: لا، ولكنْ هذا خالد بن الوليد. وبعث رسولُ الله ﷺ سعد بن عُبَادة بين يديه في كتيبة الأنصار، فقال: اليومَ يومُ المَلْحَمَة، اليوم تُستحلُّ الحُرمة. ثم دخل رسول الله ﷺ في كتيبة الإيمان من المهاجرين والأنصار.

فلما رأى أبو سُفيان وجوهاً كثيرة لا يعرفها قال: يا رسول الله، اخترتَ هذه الوجوه على قومكَ؟ قال: أنتَ فعلتَ ذلك وقومك. إنَّ هؤلاء صَدَّقوني إذ كَذَّبتموني، ونصروني إذ أخرجتموني، ومع النّبيّ ﷺ يومئذٍ الأقرع بن حابس، وعبّاس بن مرداس، وعُيَيْنَة بن بدر، فلما أبصرهم حول النّبيّ ﷺ قال: مَنْ هؤلاء يا عبَّاس؟ قال: هذه كتيبةُ النّبيّ ﷺ، ومع هذه الموت الأحمر، هؤلاء المهاجرون والأنصار. قال:

امضِ يا عبَّاس، فلم أر كاليوم جنوداً قطُّ ولا جماعة، وسار الزُّبَيْر بالنّاس حتى إذا وقف بالحَجُون، واندفع خالد حتى دخل من أسفل مكة. فلقيته بنو بكر فقاتلهم فهزمهم، وقتل منهم قريباً من عشرين، ومن هذيل ثلاثة أو أربعة، وهُزموا وقُتلوا بالحَزْوَرَة، حتى دخلوا الدُّورَ، وارتفعت طائفةٌ منهم على الجبل على الخَنْدَمَة، واتَّبعهم المسلمون بالسّيوف.

ودخل رسولُ الله ﷺ في أُخريات النَّاس، ونادى مُنَادٍ: من أغلق عليه دارهَ وكفَّ يدَه فإنه آمن. وكان النّبيّ ﷺ نازلاً بذي طُوى، فقال: «كيف قال حسّان»؟ فقال رجل من أصحابه: قال:

عـدِمْتُ بُنَيَّتي إنْ لـم تـروهـا تُثِيـر النَّقْـعَ مـن كَنفَـيْ كَـدَاء

فأمرهم فأدخلوا الخيلَ من حيث قال حسّان. فأُدخِلت من ذي طوى من أسفل مكة. واسْتحَرَّ القتلُ ببني بكر. فأحلَّ اللهُ له مكّة ساعةً من نهار، وذلك قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ [البلد]، فقال رسول الله ﷺ: ما أُحِلَّت الحُرْمَة لأحدٍ قبلي ولا بعدي، ولا أُحِلَّتْ لي إلاّ ساعةً من نهار.

ونادى أبو سُفيان بمكة: أسْلِموا تَسْلَموا. فكفَّهُم الله عن عباس.

فأقبلت هندٌ فأخذت بلِحْية أبي سُفيان، ثم نادت: يا آلَ غالب اقتلوا الشيخَ الأحمق. قال: أرْسِلي لِحْيتي، فأُقسِمُ لئن أنتِ لم تُسْلمي لَتُضربنَّ عنُقَكِ، وَيْلَكِ جاءنا بالحقّ ادخُلي بيتك واسكُتي.

ودخل رسول الله ﷺ فطاف سبعاً على راحلته.

وفرّ صَفْوان بن أُميَّة عامداً للبحر، وفرّ عِكْرِمة عامداً لليمن، وأقبل عُمَيْر بن وهْب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبيَّ الله آمِنْ صَفوانَ فقد هرب، وقد خشيت أن يُهلِكَ نفسَه، فأرسِلْني إليه بأمان فإنك قد آمنتَ

الأحمرَ والأسودَ، فقال: أدْرِكْه فهو آمن. فطلبه عُمَيْر فأدركه ودعاه فقال: قد آمنك رسولُ الله ﷺ. فقال صَفْوان: والله لا أوقن لك حتى أرى علامةً بأماني أعرفها. فرجع فأعطاه النّبيّ ﷺ بُرْدَ حِبَرةٍ كان مُعْتَجِراً به حين دخل مكة، فأقبل به عُمَيْر، فقال صَفْوان: يا رسول الله، أعطيتني ما يقول هذا من الأمان؟ قال: نعم. قال: اجعل لي شهراً، قال: لك شهران، لعلّ الله أن يهديكَ.

واستاذنت أمُّ حكيم بنت الحارث بن هشام وهي يومئذٍ مسلمة، وهي تحت عِكْرِمة بن أبي جهل، فاستأذنت رسولَ الله ﷺ في طلب زوجها، فأذِن لها وآمَنَهُ، فخرجت بعبدٍ لها رُوميٍّ فأرادها عن نفسها، فلم تزل تُمَنِّيه وتقرِّب له حتى قدِمت على ناسٍ من عَكّ فاستعانتهم عليه فأوثقوه، فأدركت زوجَها ببعض تهامة وقد ركبَ في السَّفينة، فلما جلس فيها نادى باللاَّتِ والعُزَّى. فقال أصحابُ السفينة: لا يجوز هاهنا من دعاءٍ بشيء إلاّ الله وحده مخلصاً، فقال عِكْرِمة: والله لئن كان في البحر، إنَّه لَفي البرِّ وحده، أُقْسِم بالله لأرجعنّ إلى محمد، فرجع عِكْرِمة مع امرأته، فدخل على رسول الله ﷺ فبايعه، وقَبل منه.

ودخل رجل من هُذَيْل على امرأته، فلامته وعيَّرته بالفرار، فقال:

وأنتِ لو رأيتنا بالخَنْدَمَهْ إذ فَرَّ صَفْوان وفرَّ عِكْرِمهْ
قد لحقتهم السُّيوف المسلمهْ يَقْطَعْنَ كلَّ ساعدٍ وجُمْجُمَهْ
لم تنطقي في اللَّوم أدنى كلمهْ[1]

وكان دخولُ النَّبيِّ ﷺ مكةَ في رمضان. واستعار النَّبيُّ ﷺ من صفوان فأعطاه فيما زعموا مئة درعٍ وأداتها، وكان أكثر شيء سلاحاً.

وأقام النَّبيُّ ﷺ بمكة بضع عشرة ليلة.

---

(١) ابن هشام ٢/٤٠٨.

وقال ابن إسحاق[1] : مضى النَّبيُّ ﷺ حتى نزل مَرَّ الظَّهْران في عشرة آلاف. فسبَّعَتْ[2] سُلَيْم، وبعضهم يقول: أَلَّفَتْ، وألَّفَتْ مُزَيْنة. ولم يتخلّف أحدٌ من المهاجرين والأنصار.

وقد كان العبَّاسُ لقيَ رسولَ الله ﷺ ببعض الطريق. قال عبدالملك بن هشام: لقيه بالجُحْفَة مهاجراً بعياله.

قال ابن إسحاق[3] : وقد كان أبو سُفيان بن الحارث بن عبدالمطّلب، وعبدالله بن أبي أُميَّة بن المغيرة؛ قد لقيا رسولَ الله ﷺ بنِيق العُقاب ـ فيما بين مكّة والمدينة ـ فالتمسا الدخولَ عليه، فكلَّمته أمُّ سُليم فيهما، فقالت: يا رسولَ الله ابن عمّك وابن عَمَّتكَ وصِهْرك. قال: لا حاجةَ لي بهما، أمّا ابنُ عَمِّي فهتكَ عِرْضي، وأما ابنُ عَمَّتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال. فلمّا بلغهما قولُه قال أبو سفيان: والله ليأذنن لي أو لآخذنّ بيد بُنَيّ هذا ثم لنذهبنّ في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً. فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ رقّ لهما، وأذِن لهما، فدخلا وأسلما، وقال أبو سُفيان:

لَعَمْرُكَ إنِّي يوم أحملُ رايةً ... لِتَغْلِبَ خيلُ اللّاتِ خيلَ محمّدِ
لَكَالمُدْلِجِ الحيرانِ أظْلَم ليلُهُ ... فهذا أواني حين أُهدَى وأهتدي
هدانيَ هادٍ غيرُ نفسي ونالني ... مع الله مَنْ طَرَّدتُ كُلّ مُطَرَّدِ
أصدُّ وأنْأى جاهداً عن محمدٍ ... وأُدْعَى وإنْ لم أَنتسِبْ من محمّدِ

فذكروا أنَّه حين أنشدَ النّبيَّ ﷺ هذه ضرب في صدره، وقال: أنتَ طردتني كلّ مطرد!

وقال سعيد بن عبدالعزيز، عن عطيَّةَ بن قيس، عن أبي سعيد

---

(١) ابن هشام ٢/ ٤٢١.
(٢) أي: كانوا سبع مئة.
(٣) ابن هشام ٢/ ٤٠٠-٤٠١.

الخُدْريِّ، قال: خرجنا لغزوة فتح مكة لليلتين خَلَتَا من شهر رمضان صُوَّاماً، فلّما كنّا بالكَدِيد، أمَرَنَا رسولُ الله ﷺ بالفطر.

وقال الزُّهْرِي، عن عُبَيْدالله، عن ابن عبّاس، أنّ رسول الله ﷺ صام في مخرجه ذلك حتى بلغ الكَدِيد فأفطر وأفطر النّاس. أخرجه البخاري[1].

وقال الأوزاعيُّ: حدثنا يحيى بن أبي كثير، قال: حدّثني أبو سَلَمَة، قال: دخل أبو بكر وعمر على رسول الله ﷺ بمَرّ الظَّهْران، وهو يتغدَّى فقال: «الغداء» فقالا: إنَّا صائمان، فقال: «اعملوا لصاحبَيْكم، ارحلوا لصاحبيكم، كُلا، كُلا». مُرْسَلٌ[2]. وقولُه هذا مقدّر بالقول يعني: يقالُ هذا لكونكما صائمين[3].

وقال مَعْمَر: سمعتُ الزُّهْري يقول: أخبرني عُبَيْدالله، عن ابن عبّاس، أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرج في رمضان من المدينةِ ومعه عشرةُ آلاف، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مَقْدَمِه المدينةَ، فسار بمن معه من المسلمينَ إلَى مكة، يصوم ويصومون، حتى بلغ الكَدِيد؛ وهو بين عُسفان وقُدَيْد؛ فأفطر، وأفطر النّاس.

قال الزُّهْري: وكان الفِطْر آخر الأمرين. وإنّما يُؤخذ بالآخر فالآخر من أمر رسول الله ﷺ[4].

قال الزُّهْريّ: فصبَّح رسولُ الله ﷺ مكةَ لثلاث عشرة ليلةٍ خَلَتْ من

---

(١) البخاري ٣/ ٤٣ و٤/ ٦٠ و٥/ ١٨٥.

(٢) كتب على هامش الأصل: «يعني: يكرمهما رفقتهما لصومهما فيقال: اعملوا لهما فإنهما صائمان، ارحلوا لهما فإنهما صائمان».

(٣) النسائي ٤/ ١٧٧.

(٤) البخاري ٥/ ١٨٥، وانظر المسند الجامع حديث (٦٤٣٢).

رمضان. أخرجه البخاري[1]، ومسلم[2] دون قول الزُّهْريّ. وكذا وَرَّخَه يونس عن الزُّهْريّ[3].

وقال عبدالله بن إدريس، عن ابن إسحاق، عن ابن شهاب، ومحمد ابن علي بن الحسين، وعَمْرو بن شُعَيْب، وعاصم بن عمر وغيرهم، قالوا: كان فتح مكة في عشر بقين من رمضان.

وقال الواقديّ[4]: خرج رسول الله ﷺ يوم الأربعاء لعشر خَلَوْن من رمضان بعد العصر، فما حلّ عُقْدَةً حتى انتهى إلى الصُلْصُل. وخرج المسلمون وقادوا الخيلَ وامتَطَوا الإبل. وكانوا عشرة آلاف.

وذكر عُرْوَةُ وموسى بن عُقْبة أنّه ﷺ خرج في اثني عشر ألفاً.

وقال ابن إدريس، عن ابن إسحاق، عن الزُّهْريّ، عن عُبَيْدالله، عن ابن عبّاس أنّ رسول الله ﷺ جاءه العبّاس بأبي سُفْيان فأسلم بمَرّ الظَّهْران. فقال: يا رسول الله، إنّ أبا سُفْيان رجل يحبّ الفخر، فلو جعلت له شيئاً؟ قال: نعم، مَن دخل دار أبي سُفْيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمِن.

زاد فيه الثقة، عن ابن إسحاق قال: نادِه، فقال أبو سُفْيان: وما تَسَعُ داري؟ قال مَن دخل الكعبةَ فهو آمن، قال: وما تَسَعُ الكعبةُ؟ قال: مَن دخل المسجدَ فهو آمن. قال: وما يَسَعُ المسجدُ؟ قال: مَن أغلق بابه فهو آمِن. فقال: هذه واسعة.

وقال حمّاد بن زيد، عن أيّوب، عن عِكْرِمة، قال: فلما نزل رسول الله ﷺ بمَرّ الظَّهْران، قال العبّاس وقد خرج مع رسول الله ﷺ من

---

(١) البخاري ٥/ ١٨٥.
(٢) مسلم ٣/ ١٤٠ و ١٤١.
(٣) مسلم ٣/ ١٤١.
(٤) المغازي ٢/ ٨٠١.

المدينة: يا صباح قريش، والله لئِن بَغَتَها رسولُ الله ﷺ فدخل عَنْوَةً، إنّه لَهَلاك قريش آخر الدَّهْر. فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، وقال: أخرجُ إلى الأراك لَعَلّي أرى حطّاباً أو صاحب لبن، أو داخلاً يدخل مكة، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليأتوه فيستأمنوه، فخرجتُ فَوَالله إنّي لأطوف بالأراك إذ سمعتُ صوتَ أبي سُفيان وحكيم بن حِزام وبُدَيْل بن وَرْقاء وقد خرجوا يتجسّسون الخبرَ عن رسول الله ﷺ، فسمعت صوت أبي سُفيان وهو يقول: ما رأيت كاليوم قطّ نيراناً، فقال بُدَيْل: هذه نيرانُ خُزاعة حَمَشَتْها[1] الحرب، فقال أبو سُفيان: خُزاعة ألأمُ من ذلك وأذلّ. فعرفت صوته، فقلت: يا أبا حنظلة، فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم. فقال: لَبَّيكَ، فِدَاكَ أبي وأمي، ما وراءك؟ قلت: هذا رسولُ الله ﷺ في النَّاس قد دلَفَ إليكم بما لا قِبَلَ لكم به في عشرة آلاف من المسلمين. قال: فكيف الحيلةُ، فداك أبي وأمّي؟ فقلت: تركب في عجز هذه البغلة، فَأَسْتأْمِنُ لكَ رسولَ الله ﷺ، فإنّه والله لئن ظفِرَ بك ليضربنَّ عُنُقَك. فَرَدَفَني فخرجتُ أركض به نحو رسولِ الله ﷺ، فكلّما مرَرْتُ بنارٍ من نيران المسلمين نظروا إليَّ وقالوا: عَمُّ رسولِ الله على بغلةِ رسولِ الله. حتى مرَرتُ بنار عمر فقال: أبو سُفْيان؟! الحمدُ لله الذي أمكنَ منك بغير عهدٍ ولا عقْد. ثم اشتدَّ نحو رسول الله ﷺ. ورَكَضتُ البغلةَ حتى اقتحمتُ بابَ القبّة وسبقتُ عمرَ بما تسبق به الدابّة البطيئة الرجلَ البطيء.

ودخل عمر، فقال: يا رسول الله هذا أبو سُفْيان عدوّ الله، قد أمْكَنَ اللهُ منه بغير عهدٍ ولا عقدٍ، فَدَعْني أضرب عُنُقَه. فقلتُ: يا رسولَ الله، إنِّي قد آمنته. ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه وقلت: والله لا يناجيه اللّيلة أحدٌ دوني. فلما أكثر فيه عمر، قلتُ: مهلاً يا عمر،

---

(١) أي: جمعتها وأثارتها.

فَوَالله ما تصنع هذا إلاّ لأنّه رجلٌ من بني عبد مَنَاف، ولو كان من بني عدِيّ بن كعب ما قلت هذا. فقال: مهلاً يا عبّاس، فوالله لإسلامُك يومَ أسلمتَ كان أحبّ إليَّ من إسلام الخطَّابِ لو أسلم، وما ذاك إلاّ أني قد عرفت أنَّ إسلامَك كان أحبّ إلى رسولِ الله ﷺ من إسلام الخطَّابِ لو أسلم. فقال رسولُ الله ﷺ: اذهب به فقد آمنّاه، حتى تغدو به عليَّ الغداة، فرجع به العبّاس إلى منزله.

فلما أصبح غدا به على رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: ويْحك يا أبا سفيان، ألم يأنِ لك أن تعلم أنّه لا إله إلاّ الله؟ فقال: بأبي وأمّي ما أوْصَلك وأكرمَكَ، والله لقد ظننتُ أنْ لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً بعد. فقال: ويْحك أوَ لم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمّي ما أوْصَلَك وأحلمك وأكرَمَك، أمَّا هذه فإنَّ في النفس منها شيئاً. قال العبّاس: فقلت: ويْلَكَ تشهّد شهادةَ الحقِّ قبلَ، واللهِ، أنْ تُضْرَبَ عُنُقُك. فتشهَّد. فقال رسولُ الله ﷺ حين تَشهَّدَ: «انصرف به يا عبَّاس فاحبسْه عند حطم الجبل بمضيق الوادي، حتى تَمُرَّ عليه جنود الله».

فقلت له: إنّ أبا سُفيان يا رسول الله رجل يحبُّ الفخرَ، فاجعلْ له شيئاً يكون له في قومك. فقال: «نعم، مَنْ دخل دار أبي سُفيان فهو آمن، ومَن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن». فخرجتُ به حتى حَبَسْتُه عند حَطْمِ الجبل بمضيق الوادي، فمرّت عليه القبائل، فيقول: مَن هؤلاء يا عبّاس؟ فأقول: سُلَيْم. فيقول: ما لي ولسُلَيْم. وتمرّ به القبيلةُ فيقول: مَنْ هذه؟ فأقول: أسْلَم. فيقول ما لي ولأسْلَم. وتمر جُهَيْنَة. حتى مرّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار، في الحديد، لا يُرَى منهم إلاّ الحَدَق. فقال يا أبا الفضل، مَن هؤلاء؟ فقلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار. فقال:

يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلْكُ ابنِ أخيكَ عظيماً. فقلت: وَيْحَك، إنها النُّبوَّةُ. قال: فنعم إذن. قلت: الْحَقِ الآن بقومكَ فَحَذِّرْهُمْ. فخرج سريعاً حتى جاء مكة، فصرخ في المسجد: يا معشر قريش؛ هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به. فقالوا: فَمَه؟ قال: مَن دخل داري فهو آمن. قالوا: وما دارُك، وما تُغني عنَّا؟ قال: مَنْ دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق دارَه عليه فهو آمِن.

هكذا رواه بهذا اللّفظ ابن إسحاق، عن حسين بن عبدالله بن عُبَيْدالله ابن عبّاس، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس موصولاً، وأمّا أيّوب السّخْتيانيّ فأرسله. وقد رواه ابن إدريس، عن ابن إسحاق، عن الزُّهْريّ، عن عُبَيْدالله، عن ابن عبّاس بمعناه.

وقال عُرْوة: أخبرني نافع بن جُبَيْر بن مُطعم، قال: سمعت العبّاس يقول للزُّبَيْر: يا أبا عبدالله، هاهنا أمرك رسولُ الله ﷺ أنْ تَرْكُزَ الراية. قال: وأمر رسول الله ﷺ يومئذٍ خالد بن الوليد أن يدخل مكةَ من كَدَاء. ودخل النّبيُّ ﷺ من كَدَاء، فقُتل من خَيْل خالد يومئذٍ رجلان: حُبَيْش بن الأشعر، وكُرْز بن جابر الفِهْريّ[1].

وقال الزُّهْري، وغيره: أخفى الله مسيرَ النَّبيِّ ﷺ على أهل مكة، حتى نزل بِمَرِّ الظَّهْران.

وفي مغازي موسى بن عُقْبة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لخالد بن الوليد: «لِمَ قاتلتَ، وقد نهيتُكَ عن القتال»؟ قال: هم بدؤونا بالقتال ووضعوا فينا السّلاحَ وأشعرونا بالنَّبْل، وقد كَفَفْتُ يدي ما استطعتُ. فقال رسولُ الله ﷺ: «قضاءُ الله خيرٌ»[2].

---

(١) البخاري ٥/ ١٨٦-١٨٧.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ١٢١.

ويقال: قال أبو بكر يومئذٍ: يا رسولَ الله أُراني في المنام وأراك دَنَوْنا من مكة، فخرجتْ إلينا كلْبةٌ تهرُّ، فلما دنونا منها استلْقَتْ على ظهرها، فإذا هي تشخبُ لَبَناً[1]. فقال: ذهبَ كلْبُهم وأقبل دَرُّهُم، وهم سائِلُوكم بأرحامِكم وإنَّكم لاقون بعضَهم، فإنْ لقيتم أبا سُفيان فلا تقتلوه». فلقوا أبا سُفيان وحكيماً بمرّ.

وقال حسّان:

عدِمْتُ بُنَيَّتي إنْ لم تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ موعِدُها كَداءُ
ينازِعْنَ الأعِنَّةَ مُصْحبات ... تُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النّساءُ
فإنْ أعرضْتُم عنّا اعْتَمَرْنا ... وكان الفتحُ وانكشفَ الغطاءُ
وإلاّ فاصْبِروا لجِلادِ يومٍ ... يُعِزُّ اللهُ فيه مَن يشاءُ
وجبريلٌ رسولُ الله فينا ... ورُوح القُدْس ليس له كفاءُ
هجوتَ محمَّداً فأجبتُ عنه ... وعندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ
فمن يهجو رسولَ الله منكم ... ويمدحُهُ وينصرُهُ سَواءُ
لساني صارمٌ لا عيبَ فيه ... وبحري ما تُكَدِّرُهُ الدِّلاءُ

فذكروا أنَّ رسول الله ﷺ تبسم إلى أبي بكرٍ حين رأى النِّساء يُلَطِّمْنَ الخيلَ بالخُمُر؛ أي: ينفضن الغُبار عن الخيل[2].

وقال الليث: حدَّثني خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن عُمارة بنَ غَزِيَّة، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سَلَمَة، عن عائشةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «اهْجُوا قريشاً فإنّه أشدُّ عليها من رَشْق النَّبل». وأرسل إلى ابن رَوَاحة فقال: «اهْجُهُم». فهجاهم فلم يُرْضَ، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسَّان بن ثابت. فلما دخل قال:

---

(١) أي: خرج اللبن من الضرع مسموعاً صوتُه. وانشخب اللبن: نزل غزيراً، ويقال: انشخب العِرقُ دماً: تفجَّرَ.

(٢) ابن هشام ٢/ ٤٢٣-٤٢٤.

قد آنَ لكم أنْ ترسلوا إلى هذا الأسدِ الضّارب بذَنَبِه[1] . ثم أدلع لسانه فجعل يُحَرِّكُه، فقال: والذي بعثكَ بالحقّ لأفْرِيَنَّهُم فَرْيَ الأديم[2] . فقال رسول الله ﷺ: «لا تَعْجَلْ فإنَّ أبا بكرٍ أعلمُ قريشٍ بأنسابها وإنَّ لي فيهم نَسَبَاً، حتى يُخَلِّصَ لكَ نَسَبي». فأتاه حسَّان ثم رجع فقال: يا رسول الله قد أخلصَ لي نَسَبَكَ، فَوَالذي بعثك بالحقّ لَأَسُلَّنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشَّعرةُ من العجين.

قالت عائشة: فسمعتُ رسولَ الله ﷺ: يقول لحسَّان: «إنَّ رُوحَ القُدُسِ لا يزالُ يؤيِّدُكَ ما نافحتَ عن الله ورسوله». وقالت: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: هَجَاهُم حسّانُ فَشَفَى وأشفى[3] . وذكر الأبيات، وزاد فيها:

هجَوْتَ محمّداً بَرَّاً حنيفاً ... رسولَ الله شيمتُهُ الوفاءُ
فإنَّ أبي ووالِدَه وعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
فإنْ أعْرَضْتُمُ عَنَّا اعْتَمَرْنا ... وكان الفَتْحُ وانْكَشَفَ الغِطاءُ
وقال الله: قد أرسلتُ عَبْداً ... يقول الحقَّ ليس به خَفَاءُ
وقال الله: قد سَيَّرْتُ جُنْداً ... هم الأنصارُ عُرْضَتُها اللّقاءُ
لنا في كلّ يومٍ من مَعَدٍّ ... سِبابٌ أو قِتَالٌ أو هِجَاءُ

أخرجه مسلم[4] .

وقال سُليمان بن المُغِيرة وغيره: حدثنا ثابت البُناني، عن عبدالله بن رَباح قال: وَفَدْنا إلى معاوية ومَعَنَا أبو هريرة، وكان بعضنا يصنع لبعضٍ الطّعام. وكان أبو هريرة ممّن يصنع لنا فيُكْثِر، فيدعو إلى رَحْله. قلت:

---

(١) أي: بلسانه.
(٢) أي: لأُمزقنهم تمزيق الجلد.
(٣) هكذا مجود في النسخ، وفي مسلم: «واشتفى».
(٤) مسلم ٧/ ١٦٤.

لو أمرتُ بطعامٍ فَصُنعَ ودعوتهم إلى رَحْلي، ففعلت. ولقيت أبا هريرة بالعَشِيّ فقلت: الدعوةُ عندي اللَّيلة. فقال: سَبَقْتَنِي يا أخا الأنصار. قال: فإنّهم لَعِنْدي إذ قال أبو هريرة: ألا أُعلمكم بحديثٍ من حديثكم يا معشر الأنصار؟ فذكر فتح مكة. وقال: بعث رسول الله ﷺ خالدَ بنَ الوليد على إحدى المُجَنِّبَتَيْنِ[1]، وبعث الزُّبَيْر على المُجَنِّبة الأخرى، وبعث أبا عُبَيْدة على الحُسَّرِ[2]. ثم رآني فقال: يا أبا هريرة. قلت: لبَّيْك وسَعْدَيْكَ يا رسول الله. قال: اهتف لي بالأنصار ولا تأتني إلاّ بأنصاري. قال: ففعلته. ثم قال: انظروا قريشاً وأوباشهم[3] فاحصدوهم حصداً.

فانطلقنا فما أحدٌ منهم يوجِّهُ إلينا شيئاً، وما مِنَّا أحدٌ يريدُ أحداً منهم إلاّ أخذه. وجاء أبو سفيان، فقال: يا رسولَ الله: أُبيدَتْ خَضراءُ قريش لا قريشَ بعد اليوم. فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ دخلَ دارَ أبي سُفيان فهو آمن، ومن ألقى السّلاح فهو آمن» فألقوا سلاحهم.

ودخل رسولُ الله ﷺ فبدأ بالحَجَر فاستلمه، ثمّ طافَ سَبْعاً وصلَّى خلفَ المَقَامَ رَكْعَتَين. ثم جاء ومعه القوس آخذٌ بِسيَتِها[4]، فجعل يطعنُ بها في عينِ صنم من أصنامهم، وهو يقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء]. ثم انطلق حتى أتى الصَّفا، فَعَلاَ منه حتى يرى البيتَ، وجعلَ يَحْمَدُ الله ويدعوه، والأنصارُ عنده يقولون: أما الرجل فَأَدْرَكَتْه رغبةٌ في قريته ورأفةٌ بعشيرته. وجاء الوحيُ، وكان الوحي إذا جاء لم يَخْفَ علينا. فلما أنْ رُفعَ الوحيُ،

---

(١) هما: الميمنة والميسرة، ويكون القلب بينهما.
(٢) أي: الذين لا دروع لهم.
(٣) كتب على هامش الأصل: «الأوباش والأوشاب: الجموع».
(٤) أي: طرفها.

قال: يا معشرَ الأنصار قلتم كذا وكذا، فما اسمي إذاً؟ كلاّ، إنّي عبدُالله ورسوله. المَحْيا مَحْياكم والمَمات مَمَاتُكم. فأقبلوا يبكون وقالوا: يا رسول الله ما قلنا إلاّ الضِنَّ بالله وبرسوله. فقال: إنّ الله ورسوله يصدّقانكم ويعذرانكم.

أخرجه مسلم[1]، وعنده: كلاّ إنّي عبدُالله ورسوله، هاجرتُ إلى الله وإليكم.

وفي الحديث دلالةٌ على الإذن بالقتْلِ قبل عَقْدِ الأمان.

وقال سلاّم بن مسكين: حدّثني ثابت البُنَاني، عن عبدالله بن رباح، عن أبي هريرة، قال: ما قُتِلَ يوم الفتح إلاّ أربعة. ثم دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنّون أنّ السيف لا يُرفع عنهم. ثم طاف رسولُ الله ﷺ وصلّى ثم أتى الكعبةَ فأخذ بعضادَتَيْ الباب، فقال: «ما تقولون وما تظنُّون»؟ قالوا: نقول ابنُ أخٍ وابنُ عمٍّ حليم رحيم. فقال: «أقولُ كما قال يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف]». قال: فخرجوا كما نُشِروا من القبور، فدخلوا في الإسلام.

وقال عُرْوة، عن عائشة: دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح من كَداء من أعلى مكة[2].

وقال عبدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: لما دخل رسولُ الله ﷺ عامَ الفتح رأى النِّساءَ يُلَطِّمْنَ وجوهَ الخيل بالخُمُر، فتبسّم رسولُ الله ﷺ إلى أبي بكر، وقال: «كيف قال حسّان»؟ فأنشده أبو بكر:

عدِمْتُ بُنَيَّتِي إنْ لم تروها ... تُثِير النَّقْعَ من كنفي كَدَاء
ينازِعْنَ الأعنَّةَ مُسْرجات ... يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُر النّساءُ

---

(١) مسلم ٥/ ١٧٠.
(٢) البخاري ٥/ ١٨٩.

فقال: «ادخلوا من حيث قال حسّان».

وقال الزُّهْريّ، عن أَنَس: دخل رسول الله ﷺ عامَ الفتح مكةَ وعلى رأسه المِغْفَر، فلما وضعه جاء رجل فقال: هذا ابن خَطَلَ متعلّق بأستار الكعبة. فقال: اقتلوه. مُتَّفقٌ عليه[1].

وكان ﷺ قد أهدر دَمَ ابنِ خَطَل وثلاثة غيره.

وقال منصور بن أبي مُزاحم: حدثنا أبو مَعْشَر، عن يوسف بن يعقوب، عن السّائب بن يزيد، قال: رأيت النَّبيَّ ﷺ قتل عبدَالله بنَ خَطَل يومَ أخرجوه من تحتِ الأستارِ، فضرب عُنُقَهُ بين زمزم والمَقَام، ثم قال: «لا يُقتل قُرَشيٌّ بعدها صَبْراً».

وقال معاوية بن عمّار الدُّهْنيّ، عن أبي الزُّبَيْر، عن جابر أنّ رسول الله ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامةٌ سوداء بغير إحرامٍ. أخرجه مسلم[2].

وفي مُسْنَد الطَّيالِسيّ[3]: حدّثنا حمّاد بن سَلَمَة، عن أبي الزُّبَيْر، عن جابر أنّ رسول الله ﷺ دخل يوم الفتح وعليه عمامةٌ سوداء.

وقال مُسَاوِر الورَّاق: سمعتُ جعفر بن عَمْرو بن حُرَيْث، عن أبيه، قال: كأنِّي أنظرُ إلى رسولِ الله ﷺ يومِ فتحِ مكة، وعليه عمامةٌ سوداء حُرقانية، قد أرخى طَرَفها بن كتفيه. أخرجه مسلم[4].

وقال ابن إسحاق، عن عبدالله بن أبي بكر، أنَّ عائشةَ قالت: كان لواءُ رسولِ الله ﷺ يومَ الفتح أبيض، ورايتُه سوداء؛ قطعةُ مرطٍ لي مُرَحَّل، وكانت الراية تُسمَّى العُقاب.

---

(١) البخاري ٥/ ١٨٨، ومسلم ١٣٧٥.
(٢) مسلم ٤/ ١١١ و ١١٢، وانظر المسند الجامع حديث (٢٩٠٥).
(٣) منحة المعبود ١/ ٣٥١، وابن سعد ٢/ ١٤٠.
(٤) مسلم ٤/ ١١٢.

قال عبدالله بن أبي بكر: لما نزلَ رسولُ الله ﷺ بذي طُوَى ورأى ما أكرمه الله به من الفتح جعلَ يتواضعُ للهِ حتى إنَّكَ لَتَقُول قد كاد عُثْنُونُه أن يُصيب واسطةَ الرَّحْل.

وقال ثابت، عن أنَس: دخلَ رسولُ الله ﷺ يوم الفتح وذَقَنُه على رَحْله مُتَخَشِّعاً. حديث صحيح.

وقال شُعْبة، عن معاوية بن قُرّة، سمع عبدالله بن مُغَفَّل، قال: قرأ رسولُ الله ﷺ يومَ الفتح سورةَ الفتح وهو على بعيرٍ، فَرَجَّعَ فيها. ثم قرأ معاوية يحكي قراءة ابنَ مُغَفَّل عن النَّبيِّ ﷺ فرجَّع وقال: لولا أنْ يجتمعَ الناسُ لرجَّعتُ كما رَجَّع ابن مغفَّل عن النبيِّ ﷺ. متفق عليه، ولفظه للبخاري[1].

وقال ابن أبي نجيح، عن مُجاهد، عن أبي مَعْمَر، عن عبدالله بن مسعود، قال: دخلَ النَّبيُّ ﷺ مكةَ يوم الفتح، وحول الكعبة ثلاث مئة وَستُّون نُصُباً، فجعل يطعنها بعودٍ في يده ويقول: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ]. ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء]. متَّفقٌ عليه[2].

وقال ابن إسحاق: حدثنا عبدالله بن أبي بكر، عن عليّ بن عبدالله ابن عباس، عن أبيه، قال: دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح، وعلى الكعبة ثلاث مئة صنم، فأخذ قضيبه فجعل يَهْوِي به إلى صَنَمٍ صَنَمٍ، وهو يهوي حتى مرَّ عليها كلّها. حديث حَسَن.

وقال القاسم بن عبدالله العُمَرِيّ ـ وهو ضعيف ـ عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر، أنَّ النبيَّ ﷺ لما دخلَ مكةَ وجدَ بها ثلاث مئة

---

(١) البخاري ٥/ ١٨٧ و٦/ ١٦٩ و٢٣٨ و٢٤١ و٩/ ١٩٢، ومسلم ٢/ ١٩٣.
(٢) البخاري ٣/ ١٧٨ و٥/ ١٨٨ و٦/ ١٠٨، ومسلم ٥/ ١٧٣.

وستين صنماً. فأشار إلى كُلِّ صنم بعصاً من غير أنْ يمسَّها، وقال: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء]، فكان لا يُشير إلى صنمٍ إلاّ سقط[1].

وقال عبدالوارث، عن أيوب، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس: أنَّ النبيَّ ﷺ لما قدِمَ مكةَ، أبى أنْ يدخلَ البيتَ وفيه الآلهة، فأمر بها فأُخْرِجت، فأخرج صورةَ إبراهيم وإسماعيلَ وفي أيديهما الأزْلام، فقال: «قاتَلَهُمُ الله[2]، أمَا واللهِ لقد علِموا أنهما لم يَسْتَقْسِما بها قطُّ». ودخل البيت وكبَّرَ في نواحيه.

أخرجه البخاري[3].

وقال مَعْمَر، عن أيّوب، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس: أن النبي ﷺ لما رأى الصُّورَ في البيت لم يدخله حتى أمرَ بها فمُحِيتْ. ورأى إبراهيم وإسماعيلَ بأيديهما الأزلام، فقال: «قاتلهم الله، والله ما اسْتَقْسَما بها قطّ». صحيح[4].

وروى أبو الزبير، عن جابر: أنّ رسول الله ﷺ لم يدخل البيت حتى مُحِيت الصّور. صحيح.

وقال هَوْذة: حدثنا عَوْف الأعرابيُّ، عن رجلٍ، قال: دعا رسولُ الله ﷺ عام الفتح، شَيْبة بن عُثْمان فأعطاه المِفتاحَ، وقال له: دونكَ هذا، فأنتَ أمين الله على بيته.

قال الواقديّ: هذا غَلطٌ، إنما أعطى المِفْتاحَ عُثْمَانَ بنَ طَلْحة؛ ابنَ

---

(١) البخاري ٥/١٨٨، ومسلم ١٧٨١، وطبقات ابن سعد ٢/١٣٦، وابن هشام ٢/٤١٦.

(٢) كتب على هامش الأصل: «يعني: قاتل الله المُصَوِّرين لهما».

(٣) البخاري ٥/١٨٨.

(٤) أحمد ١/٣٦٥، والبخاري ٥/١٨٨ و ٢/١٦٠.

عمِّ شَيْبَة؛ يومَ الفتح، وشيبة يومئذٍ كافر. ولم يزل عثمان على البيت حتّى مات ثم وُلِّي شيبة.

قلتُ: قولُ الواقديّ: لم يزلْ عثمان على البيتِ حتى مات، فيه نَظَرٌ، فإنْ أراد لم يزل مُنْفرداً بالحِجابة، فلا نُسَلِّم، وإنْ أراد مُشارِكاً لشَيْبة، فقريبٌ، فإنَّ شيبةَ كان حاجِباً في خلافة عمر. ويُحْتَمل أنَّ النبيَّ ﷺ وَلَّى الحِجابة لشيبةَ لَمَّا أسلم، وكان إسلامه عامَ الفتح، لا يومَ الفتح.

وقال محمد بن حُمْران: حدثنا أبو بشر، عن مُسافع بن شَيْبة، عن أبيه، قال: دخل النبيّ ﷺ الكعبة يصلي، فإذا فيها تَصاويرُ، فقال: يا شَيْبة، اكْفِني هذه. فاشْتَدَّ ذلك عليه. فقال له رجلٌ: طَيِّنْها ثم الْطَخْها بزَعْفَرَان. ففعل.

تَفَرَّد به محمد، وهو مقاربٌ الأمر.

وقال يونس، عن نافع، عن ابن عمر: أنَّ رسولَ الله ﷺ أقبل يومَ الفتح من أعلى مكة على راحلته مُرْدِفاً أُسامة، ومعه بِلال وعثمان بن طَلْحَة، من الحَجَبَة، حتى أناخ في المسجد، فأمر عثمانَ أنْ يأتي بمفتاح البيت، ففتح ودخلَ رسولُ الله ﷺ مع أسامة وبلال وعثمان، فمكث فيها نهاراً طويلاً، ثم خرج فاسْتَبَق النَّاسُ، وكان عبدالله بن عمر أوّل مَنْ دخلَ، فوجد بلالاً وراء الباب، فسأله: أين صَلَّى رسول الله ﷺ؟ فأشار إلى المكان الذي صلَّى فيه. قال ابن عمر: فَنَسِيتُ أن أسأله: كم صلّى من سَجْدةٍ؟. صحيح. عَلَّقه البخاري مُحْتَجّاً به[1].

وقال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُبيدالله ابن عبدالله بن أبي ثَوْر، عن صفّية بنت شَيْبة، قالت: لما اطمأنّ رسول

---

(١) البخاري ٥/١٨٨-١٨٩، وأحمد ٦/ ١٥.

الله ﷺ بمكة، طاف على بعيره، يستلم [الحَجَر] بالمِحْجَن[1]. ثم دخل الكعبة فوجد فيها جُمامة عِيدان فاكْتَسَرها، ثم قال بها على باب الكعبة ـ وأنا أنظرُ ـ فَرَمَى بها.

وذكر أسْباط، عن السُّدِّيّ، عن مُصْعَب بن سعد، عن أبيه، قال: لما كان يوم فتح مكة، آمنَ رسولُ اللهِ ﷺ الناسَ، إلاّ أربعة نَفَرٍ وامرأتين، وقال: ٱقْتُلُوهم، وإنْ وجدتموهم مُتَعلِّقين بأستار الكعبة: عِكْرمة بن أبي جَهْل، وعبدالله بن خَطَل، ومِقْيَس بن صُبَابَة، وعبدالله بن سعد بن أبي سَرْح. فأمّا ابن خَطَل فأُدْرِك وهو متعلّق بالأستار، فاستبقَ إليه سعيد بن حُرَيْث وعمّار بن يَاسِر، فسبق سعيدٌ عمّاراً، فقتله. وأما مِقْيَس فقتلُوه في السُّوق. وأمّا عِكْرمة فَرَكِبَ البحر، وذكر قصَّته، ثم أسْلَم. وأما ابن أبي سَرْح فاختبأ عند عثمان، فلمّا دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البَيْعَة، جاء به عثمان حتى أوْقَفَه على النّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، بَايِعْ عبدَالله. فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كلّ ذلك يأْبَى، فبايعه بعد ثلاثٍ. ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجلٌ رشيدٌ يقوم إلى هذا، حيثُ رآني كَفَفْتُ، فيَقْتُلَه؟». قالوا: ما يُدْرِينا يا رسول الله، ما في نفسك، هَلاّ أوْمَأْتَ إلينا بعَيْنِك؟ قال: «إنّه لا يَنْبغي أن يكون لنَبِيٍّ خَائِنَة الأعْيُن»[2].

وقال ابن إسحاق[3]: حدّثني عبدالله بن أبي بكر، قال: قدم مِقْيس ابن صُبابة على رسول الله ﷺ المدينة، وقد أظهر الإسلامَ، يطلُب بِدَمِ أخيه هِشام، وكان قتله رجلٌ من المسلمين يَوْم بني المُصْطَلِق ولا يحسبه

---

(١) في الأصل: «يستلم المحجن» وكتب البشتكي بخطه على الهامش: «كذا بخطه، وصوابه: يستلم الحجر بالمحجن».

(٢) وانظر المغازي للواقدي ٢/ ٨٥٦.

(٣) ابن هشام ٢/ ٤١٠.

إلاّ مُشْرِكاً، فقال رسول الله ﷺ: إنّما قُتِل أخوك خَطَأً. وأمرَ له بديَته، فأخذها، فمَكَث مع المسلمين شيئاً، ثم عَدَا على قاتل أخيه فقتله، ولحِق بمكّة كافراً. فأمر رسول الله ﷺ ـ عامَ الفتح ـ بقَتْله، فقتله رجلٌ من قومه يقال له نُمَيْلَة بن عبدالله؛ بين الصَّفَا والمَرْوَة.

وحدّثني عبدالله بن أبي بكر، وأبو عُبَيْدة بن محمد بن عمّار: أنّ رسول الله ﷺ إنّما أمر بقتل ابن أبي سَرْح لأنه كان قد أسلم، وكتب لرسول الله ﷺ الوَحْيَ، فرجع مُشْرِكاً ولَحِق بمكّة[1].

قال ابن إسحاق[2]: وإنّما أمر بقتل عبدالله بن خَطَل؛ أحد بني تَيْم ابن غَالب؛ لأنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله ﷺ مُصَدِّقاً[3]، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مَوْلىً يخدمه وكان مسلماً. فنزل منزلاً، فأمر المَوْلى أن يذبح تَيْساً ويصنع له طعاماً، ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً فقتله وارْتَدَّ. وكان له قَيْنَة وصاحبتُها تغنّيان بهِجاء رسول الله ﷺ، فأمر بقتلهما معه، وكان ممّن يؤذي رسولَ الله ﷺ.

وقال يعقوب القُمّي: حدثنا جعفر بن أبي المغيرة، عن ابن أبْزَى، قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، جاءت عَجُوزٌ حَبَشِيّة شَمْطاء تَخْمِش وجهها وتدعو بالوَيْل. فقيل: يا رسول الله، رَأَيْنا كذا وكذا. فقال: «تلك نَائِلة أيِسَت أن تُعبد ببلدكم هذا أبداً». كأنه منقطع.

وقال يونس بن بُكَيْر، عن زكريا، عن الشعبيّ، عن الحارث بن مالك؛ هو ابن بَرْصاء؛ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يوم الفتح يقول: «لا تُغْزَى مكّة بعد اليوم أبداً إلى يوم القيامة»[4].

---

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٨٥٥، وابن هشام ٢/ ٤٠٩.

(٢) ابن هشام ٢/ ٤٠٩-٤١٠.

(٣) أي: جابياً للصدقات، وهي الزكاة.

(٤) طبقات ابن سعد ٢/ ١٣٧، والمغازي للواقدي ٢/ ٨٦٢، وفيهما: «لا تُغزى =

وقال محمد بن فُضَيْل: حدثنا الوليد بن جميع، عن أبي الطُفَيل، قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، بعث خالد بن الوليد إلى نَخْلةَ، وكانت بها العُزَّى، فأتاها خالد وكانت على ثلاث سَمُرات، فقطع السَّمرات وهَدَم البَيْتَ الذي كان عليها. ثم أتى النبيَّ ﷺ فأخبره، فقال: «ارجعْ، فإنَّكَ لم تَصنعْ شيئاً». فرجع خالد، فلما نظرت إليه السَّدَنَة؛ وهم حُجَّابها؛ أمْعَنوا في الجبل وهم يَقُولون: يا عُزَّى خَبِّلِيه، يا عُزَّى عَوِّريه، وإلاّ فَمُوتي بِرَغْم. فأتاها خالد، فإذا امرأة عُرْيانة ناشِرةٌ شعرَها تَحْثُو التّراب على رَأسِها، فَعَمَّمَها بالسَّيف حتى قتلها. ثم رجع إلى النّبيِّ ﷺ فأخبره، فقال: «تلك العُزَّى»[1]. أبو الطُّفَيل له رؤية.

وقال ابن إسحاق: حدّثني أبي، قال: حدّثني بعض آل جُبير بن مُطْعِم أنّ رسول الله ﷺ لما دخل مكة، أمر بلالاً فعَلاَ على ظهر الكعبة، فأذَّن عليها، فقال بعض بني سعيد بن العاص: لقد أكرم اللهُ سعيداً قبل أن يرى هذا الأسْوَد على ظهر الكعبة.

وقال عُروة: أمر رسول الله ﷺ بلالاً يومَ الفتح فأذَّن على الكعبة.

وقال اللَّيْث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعيد بن أبي هند: أنّ أبا مرّة مَوْلى عقيل حدّثه، أنّ أمّ هانِىءٍ بنت أبي طالب حدّثته؛ أنه لما كان عام الفتح فرّ إليها رجلان من بني مَخْزوم، فأجارَتْهما. قالت: فدخل عليَّ عليٌّ، فقال: أقْتُلُهما. فأتيتُ رسولَ الله ﷺ، وهو بأعلى مكة، فلما رآني رَحَّبَ بي، فقال: «ما جاء بك يا أمّ هانىء؟» قالت: يا نبيَّ الله، كنتُ قد أمّنتُ رجلين من أحْمائي فأراد عليٌّ قَتْلَهما. فقال: «قد أجَرْنا من أجَرْتِ». ثم قام إلى غُسْله، فسترت عليه فاطمة. ثم أخذ ثوباً

= قريش..».

(١) المغازي للواقدي ٣/ ٨٧٣-٨٧٤، وابن هشام ٢/ ٤٣٦-٤٣٧، وطبقات ابن سعد ٢/ ١٤٥-١٤٦.

فالْتَحَف به ثم صلّى ثمان ركعات؛ سُبْحَة الضُّحى. أخرجه مسلم[1].

وقال الليث، عن المَقْبُرِيّ، عن أبي شُرَيْح العَدَوِيّ، أنه قال لعمرو ابن سعيد، وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائْذَنْ لي أيّها الأمير، أُحَدِّث قَولاً قام به رسول الله ﷺ الغَدَ من يوم الفتح؟ سَمِعَتْه أُذُناي ووَعاه قلبي وأبْصَرَتْه عَيْناي حين تكلّم به؛ أنّه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إنّ الله حرَّم مكة ولم يُحرِّمْها الناس، ولا يَحِلُّ لامْرِىءٍ يؤمن بالله واليوم الآخِر أن يَسْفِك بها دماً، ولا يَعْضِد بها شجرةً، فإنْ أحدٌ تَرَخَّصَ بقتالِ رسول الله ﷺ فيها، فقولوا له: إنّ الله قد أذِنَ لرسوله ولم يَأْذَن لكم، وإنما أذِن لي فيها ساعةً من نَهار. وقد عادت حُرْمَتها اليوم كحرمتها بالأمس. فلْيُبَلِّغ الشّاهدُ الغائب». فقيل لأبي شُريح: ماذا قال لك عَمْرو؟ قال: قال: أنا أعْلَمُ بذاك منك يا أبا شريح، إنّ الحرَم لا يُعِيذ عاصِياً ولا فَارّاً بدَمٍ ولا فارّاً بخَرْبَةٍ. مُتّفقٌ عليه[2].

وقال ابن عُيَيْنة، عن عليِّ بن زيد، عمّن حدثه عن ابن عمر، قال: قال النبيُّ ﷺ يوم فتح مكة وهو على دَرَجة الكعبة: «الحمدُ لله الذي صَدَقَ وَعدَهُ، ونصرَ عبده، وهزمَ الأحزابَ وحده. ألا إنَّ قَتِيل العَمْدِ الخَطَأِ بالسَّوْط أو العَصَا فيه مئةٌ من الإبلِ، منها أربعون خِلْفَة في بُطونها أولادُها. ألا إنَّ كلَّ مَأْثُرةٍ في الجاهلية ودمٍ ومالٍ تحت قدميَّ هاتَيْن إلا ما كان من سِدَانَة البيت وسِقَاية الحاجِّ، فقد أنْضَيْتُها لأهلها»[3]. ضعيف الإسناد.

وقال ابن إسحاق: حدّثني عمرو بن شُعَيب، عن أبيه، عن جدّه،

---

(١) مسلم ١/ ١٨٢ و ١٨٣ و ٢/ ١٥٧ و ١٥٨، والبخاري ١/ ٧٨ و ١٠٠ و٨/ ٤٦، وانظر المسند الجامع، حديث (١٧٣٦١).

(٢) البخاري ١/ ٣٧ و ٣/ ١٧-١٨ و ٥/ ١٩٤، ومسلم ٤/ ١١٠.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ١١ و ٣/ ٤١٠.

قال: خطب رسولُ الله ﷺ النّاسَ عام الفتح، ثم قال: «أيّها الناسُ؛ ألا إنه لا حِلْف في الإسلام، وما كان من حلفٍ في الجاهلية فإنّ الإسلام لا يَزيده إلاّ شِدّة. والمؤمنون يَدٌ على مَنْ سِواهم، يُجيرُ عليهم أدْناهم، ويردُّ عليهم أقصاهم، تَرُدُّ سَرَاياهم على قَعِيدتهم. لا يُقْتل مؤمنٌ بكافرٍ. دِيَةُ الكافر نِصْفُ ديةِ المسلم. لا جَلَب ولا جَنَب. ولا تؤخذ صدقاتهم إلا في دُورهم»[1].

وقال أبو الزِّنَاد، عن الأعْرَج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «مَنْزِلُنا، إن شاء الله إذا فَتَح الله، الخَيْفُ؛ حيثُ تَقَاسموا على الكُفْر». أخرجه البخاري[2].

وقال أبو الأزْهر النيسابوري: حدثنا محمد بن شُرَحْبِيل الأبناويّ، قال: أخبرنا ابن جُرَيج، قال: أخبرنا عبدالله بن عثمان، أنَّ محمدَ بن الأسود بن خلف، أخبره أنَّ أباه الأسودَ حضرَ النبيَّ ﷺ يبايعُ الناسَ يومَ الفتح، وجلس عند قَرْن مَسْقَلَة، فجاءه الصغار والكبار والرجال والنساء فبايعوه على الإسلام والشهادة[3].

وقال يونس، عن ابن إسحاق[4]: حدّثني يحيى بن عبَّاد بن عبدالله، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما كان عام الفتح ونزلَ رسولُ الله ﷺ ذا طُوىً، قال أبو قُحافة لابنةٍ له كانت من أصغرِ ولده: أيّ بُنَية: أشْرِفي بي على أبي قُبَيْس، وقد كُفَّ بصره. فأشرفتْ به عليه. فقال: ماذا تَرَيْن؟ قالت: أرى سَوَاداً مُجْتَمِعاً، وأرى رجلاً يَشْتَدُّ بين ذلك السَّواد مُقبلاً ومُدبراً. فقال: تلك الخيلُ يا بُنَية، وذلك الرَّجل

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ١٨٠.
(٢) البخاري ٥/ ١٨٨.
(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٤١٥ و ٤/ ١٦٨.
(٤) ابن هشام ٢/ ٤٠٥-٤٠٦.

الوازِعُ[1] . ثم قال: ماذا تَرَيْن؟ قالت: أرى السوادَ انتشرَ. فقال: فقدْ واللهِ إذنْ دفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي. فخرجت سريعاً، حتى إذا هبطت به إلى الأبْطَح، لقيتها الخيلُ، وفي عنقها طَوْقٌ لها من وَرِقٍ، فاقتطعه إنسانٌ من عُنُقها. فلما دخل رسولُ الله ﷺ المسجدَ، خرج أبو بكر حتى جاء بأبيه يقوده، فلما رآه رسولُ الله ﷺ قال: «هَلاَّ تركتَ الشيخَ في بيته حتى أجِيئه»؟ فقال: يمشي هو إليكَ يا رسولَ الله أحقُّ من أنْ تمشي إليه. فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره وقال: «أَسْلِمْ تَسْلَم». فأَسْلَمَ. ثم قام أبو بكرٍ فأخذ بيدِ أخته فقال: أنْشُد بالله والإسلام طَوْقَ أختي. فوالله ما أجابه أحدٌ، ثم قال الثانيةَ، فما أجابه أحد، فقال: يا أُخَيَّة، احْتَسِبي طَوْقَكِ، فواللهِ إنَّ الأمانةَ اليومَ في الناس لَقليل.

وقال أبو الزبير، عن جابر: أنّ عمر أَخذ بيدِ أبي قُحافة فأتى به النبيَّ ﷺ، فقال: «غَيِّروا هذا الشَّيْب ولا تُقَرِّبوه سواداً»[2] .

وقال زيد بن أسْلم: إنَّ رسولَ الله ﷺ هَنَّأَ أبا بكرٍ بإسلامِ أبيه. مُرْسَل.

وقال مالك، عن ابن شهاب: أنه بلغه أنّ رسول الله ﷺ كان على عهده نساء يُسْلِمْن بأرْضِهنَّ، منهنَّ ابنةُ الوليدِ بن المغيرة، وكانت تحتَ صَفْوان بن أُميّة، فاسلمتْ يومَ الفتح وهرب صفوان، فبعث إليه رسولُ الله ﷺ ابنَ عَمِّه عُمَيْر بن وهب برداءِ رسولِ الله ﷺ أماناً لصفوان، ودعاه إلى الإسلام، وأن يَقْدَم عليه، فإنْ رَضِي أمراً قَبِله، وإلا سَيَّره شهرين. فقدِم فنادى على رؤوسِ الناس: يا محمد، هذا عُمير بن وهب جاءني بردائك وزعم أنَّكَ دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيتُ أمراً قبلته،

---

(١) هو الذي يرتب الجيش ويسوِّيه ويصفه ويدبرُ أموره.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٣١٦ و ٣٢٢ و ٣٣٨، ومسلم ٦/١٥٥، وانظر المسند الجامع، حديث (٢٧١٠).

وإلاّ سيَّرتَني شهرين. فقال رسولُ الله ﷺ: إنزِلْ أبا وهب. فقال: لا واللهِ، لا أنزل حتى تُبَيِّنَ لي. فقال: بل لك تَسْيير أربعة أشهر. فخرج رسولُ الله ﷺ قِبَلَ هَوازِن، فأرسل إلى صفوان يستعيره أداةً وسلاحاً. فقال صفوان: أطَوْعاً أو كَرْهاً؟ فقال: بلْ طوعاً. فأعاره الأداةَ والسلاحَ. وخرج مع رسولِ الله ﷺ وهو كافر، فشهد حُنيناً والطائف، وهو كافر وامرأته مسلمة، فلم يُفَرِّق رسولُ الله ﷺ بينهما حتى أسلم، واستقرَّتْ عنده بذلك النِّكاح، وكان بين إسلامهما نَحْوٌ من شهر[1].

وكانت أمُّ حكيم بنت الحارث بن هشام تحت عِكرمة بن أبي جهل، فأسلمت يومَ الفتح، وهرب عِكرمةُ حتى قدِم اليمن، فارتحلت أم حكيم حتى قدِمت عليه باليمن ودَعَته إلى الإسلام فأسلم. وقدِم على رسولِ الله ﷺ، فلما رآه وثبَ فَرحاً به، ورمى عليه رداءه حتى بايعه. فثبتا على نكاحهما ذلك.

وقال الواقدي[2]: حدّثني عبدالله بن يزيد الهُذَليّ، عن أبي حُصَيْن الهُذليّ، قال: اسْتَقْرَض رسول الله ﷺ من صفوان بن أُميّة خمسين ألف درهم، ومن عبدالله بن أبي ربيعة أربعين ألفاً، ومن حُوَيْطِب بن عبدالعُزَّى أربعين ألفاً، فقسمها بين أصحابه من أهل الضَّعْف. ومن ذلك المال بعث إلى جَذِيمة.

وقال يونس، عن ابن شهاب، حدّثني عُروة، قال: قالت عائشة: إنّ هِنْد بنت عُتْبة بن رَبيعة، قالت: يا رسولَ الله، ما كان مِمَّا على ظهرِ الأرضِ[3] أخباء أو خِباءٌ أحبَّ إليَّ أن يَذِلّوا من أهلِ خِبائكَ، ثم ما أصبح اليومَ على ظهرِ الأرضِ أهلُ خباءٍ أحبَّ إليَّ أنْ يَعِزُّوا من أهلِ

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٧٥-٧٦ في النكاح.
(٢) المغازي ٢/ ٨٦٣.
(٣) ما هنا يوافق إحدى روايات مسلم.

خبائك. قال رسول الله ﷺ: «وأيضاً، والذي نَفْسُ محمدٍ بيده». قالت: يا رسول الله، إنَّ أبا سفيان رجل مُمْسِكٌ ـ أو قالت: مِسِّيكٌ ـ فهل عليَّ من حَرَجٍ أنْ أُطْعِم مِنَ الذي له؟ قال: «لا، إلا[1] بالمَعْرُوف». أخرجه البخاري[2].

وأخرجاه[3]، من حديث شُعَيْب بن أبي حمزة، عن الزُّهري. وعنده: فهل عليَّ حرجٌ أن أُطْعِم مِن الذي له عِيَالَنا. قال: لا عليك أنْ تُطعميهم بالمعروف.

وقال الفِرْيابي: حدثنا يونس، عن ابن إسحاق، عن أبي السَّفَر، عن ابن عباس، قال: رأى أبو سفيان رسولَ الله ﷺ يمشي والناس يطأون عَقِبه. فقال في نفسه: لو عاودتُ هذا الرجلَ القتالَ. فجاءه رسول الله ﷺ حتى ضربَ في صدره، فقال: إذاً يُخْزيكَ اللهُ. قال: أتوبُ إلى الله وأستغفر الله.

وروى نحوه، مُرْسلاً، أبو إسحاق السَّبيعي، وعبدالله بن أبي بكر بن حزم.

وقال موسى بن أعْيَن، عن إسحاق بن راشد، عن الزُّهْري، عن ابن المسيّب، قال: لما كان ليلة دخل الناس مكة، لم يزالوا في تكبيرٍ وتَهْليلٍ وطَوافٍ بالبيت حتى أصبحوا. فقال أبو سفيان لهند: أتُريْ هذا من الله؟ ثم أصبح فغدا إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «قلتَ لهند أترين هذا من الله، نعم، هذا من الله». فقال: أشهد أنّك عبدالله ورسوله، والذي يَحْلِف به أبو سفيان، ما سمعَ قولي هذا أحدٌ من الناسِ إلاّ الله وهند.

---

(١) بياض في الأصل، وأثبتناه من هامش الأصل.
(٢) البخاري ٣/ ١٧٢ و ٥/ ٤٩-٥٠ و ٧/ ٨٤ و ٩/ ٨٢، ومسلم ٥/ ١٢٩.
(٣) انظر الحديث السابق.

وقال ابن المبارك: أخبرنا عاصم الأحْوَل، عن عكرمة، عن ابن عباس: أقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً، يصلّي ركعتين. أخرجه البخاري[1].

وقال حفص بن غياث، عن عاصم الأحول: سبعة عشر يوماً. صحيح[2].

وقال ابن عُلَيّة: أخبرنا عليّ بن زيد، عن أبي نَضْرة، عن عِمْران بن حُصَين: غزوتُ مع النبيّ ﷺ، فأقام بمكة ثمانيَ عشرة ليلة لا يصلّي إلا ركعتين، يقول: يا أهلَ البلدِ صَلُّوا أربعاً، فإنّا سَفْرٌ. أخرجه أبو داود[3]. عليّ ضعيف.

وقال ابن إسحاق[4]، عن الزُّهري، عن عُبيدالله بن عبدالله: أقام رسولُ الله ﷺ عام الفتح خمس عشرة يَقْصُر الصلاة[5].

ثم روى ابن إسحاق، عن جماعةٍ، مثلَ هذا.

قال البَيْهَقيّ: الأصحُّ روايةُ ابن المُبَارك التي اعتمدها البخاري.

وقال الواقديّ[6]: وفي رمضان بعثة خالد بن الوليد إلى العُزَّى، فهدمها. وبعث عمرو بن العاص إلى سُواع في رمضان، وهو صنم هُذَيْل، فهدمه، وقال: قلت للسَّادِن: كيف رأيتَ؟ قال: أسلمتُ لله.

قال: وفي رمضان بعث سعد بن زيد الأشْهَلِيّ إلى مَنَاة، وكانت بالمُشَلَّل، للأوْس والخَزْرَج وغَسَّان. فلما كان يوم الفتح بعث رسول الله

---

(١) البخاري ٥/ ١٩١.
(٢) أخرجه أبو داود (١٢٣٢).
(٣) أخرجه أبو داود (١٢٢٩).
(٤) ابن هشام ٢/ ٤٣٧.
(٥) النسائي ٣/ ١٢١.
(٦) المغازي ٢/ ٨٧٠.

ﷺ سعد بن زيد الأشهليّ في عشرين فارساً حتى انتهى إليها، وتخرج إلى سعد امرأةٌ سوداء عُرْيانة ثائرة الرأس تدعو بالوَيْل، فقال لها السَّادن: مَناة، دُونَكِ بعضَ غضباتك. وسعد يضربها، فقتلها، وأقبل إلى الصنم، فهدموه لستٍّ بقين من رمضان.

وقال منصور، عن مجاهد، [عن طاووس][1]، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا هجرةَ بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيَّةٌ، وإنِ اسْتُنْفِرتُم فانْفِرُوا». قاله يوم الفتح. مُتَّفقٌ عليه[2].

وقال عمرو بن مُرَّة: سمعت أبا البَخْتَرِيّ يحدّث عن أبي سعيد الخُدْرِيّ، قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر] قرأها رسول الله ﷺ ثم قال: «إنّي وأصحابي حَيِّزٌ والناس حيّز، لا هجرة بعد الفتح». فحدّثتُ به مروانَ بن الحكم ـ وكان على المدينة ـ فقال: كذبت. وعنده زيد بن ثابت، ورافع بن خَدِيج، وكانا معه على السَّرير. فقلتُ: إنّ هذين لو شاءا لحدّثاك، ولكنّ هذا؛ يعني زيداً؛ يخاف أن تَنْزِعه عن الصَّدَقة، والآخر يخاف أن تنزِعه عن عَرَافة قَوْمه. قال: فشَدَّ عليه بالدِّرَّة، فلما رأيا ذلك قالا: صَدَق[3].

وقال حمّاد بن زيد، عن أيّوب: حدّثني أبو قِلاَبة، عن عَمْرو بن سَلِمَة، ثم قال: هو حَيٌّ، ألا تَلَقْاه فتسمع منه؟ فلقيتُ عَمْراً فحدّثني بالحديث، قال: كنّا بمَمَرِّ الناس، فتمرّ بنا الرُّكْبان فنسألهم: ما هذا الأمْر؟ وما لِلنّاس؟ فيقولون: نَبِيٌّ يزعم أنّ الله قد أرسله، وأنّ الله أوْحَى إليه كذا وكذا. وكانت العرب تَلَوَّم[4] بإسلامها الفتح، ويقولون:

---

(١) إضافة سبق قلم المؤلف فأهملها.
(٢) البخاري ٤/ ٩٢، ومسلم ٦/ ٢٨.
(٣) أحمد ٣/ ٢١ و ٥/ ١٨٧.
(٤) تنتظر وتتريث.

أنظِرُوه، فإنّ ظهر فهو نبيّ فصدِّقوه. فلما كان وقعة الفتح نادى[1] كل قوم بإسلامهم، فانطلق أبي بإسلام حِوَائنا[2] إلى رسول الله ﷺ، فقدِم فأقام عنده كذا وكذا. ثم جاء فتلقَّيْناه، فقال: جئتكم من عند رسول الله حقّاً، وإنه يأمركم بكذا، وصلاة كذا وكذا، وإذا حَضَرت الصلاةُ فليؤذِّنْ أحدُكم، وليَؤُمَّكم أكثرُكم قرآناً. فنظروا في أهل حِوائنا فلم يجدوا أكثر قرآنا منّي فقدّموني، وأنا ابن سبع سنين، أو ستّ سنين. فكنت أصلّي بهم، فإذا سجدتُ تَقَلَّصتْ بُرْدَةٌ عَليَّ. تقول امراةٌ من الحيِّ: غَطّوا عنا اسْتَ قارئِكم هذا. قال: فكُسِيتُ مُعَقَّدةً[3] من مُعَقَّد البَحْرين بستة دراهم أو بسبعة، فما فرحت بشيءٍ كفَرَحي بذلك.

أخرجه البخاري[4]، عن سليمان بن حرب، عنه، والله أعلم.

غزوَة بني جَذيمة

قال ابن إسحاق[5]: وبعثَ رسولُ الله ﷺ السرايا فيما حولَ مكة يَدْعُونَ إلى الله تعالى، ولم يأمرهم بقتالٍ. فكان مِمَّنْ بعث، خالدَ بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تِهامة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، فوطِيءَ بني جَذِيمة بن عامر بن عبد مَنَاة بن كِنَانة، فأصاب منهم.

وقال مَعْمَر، عن الزُّهْري، عن سالم، عن أبيه، قال: بعث النبيُّ ﷺ خالد بن الوليد إلى ـ أحسبه قال: ـ بني جَذِيمة، فدعاهم إلى

---

(١) في صحيح البخاري: «بادر»، إلا أن الذهبي على عادته لا يتقيد بحرفية ما ينقل بل يتصرف فيه وهو ما يوضحه سرده لبقية الحديث.

(٢) أي: جماعة البيوت المتدانية.

(٣) ضربٌ من برود هَجَر.

(٤) البخاري ٥/ ١٩١-١٩٢.

(٥) ابن هشام ٢/ ٤٢٨.

الإسلام. فلم يُحسنوا أن يقولوا: أسْلَمنا، فجعلوا يقولون: صَبَأنا، صبأْنا. وجعل خالد بهم قتلاً وأسراً، ودفع إلى كُلِّ رجلٍ منّا أسيره. حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أنْ يقتلَ كُلُّ رجلٍ منّا أسيره. فقال ابن عمر: فقلتُ واللهِ لا أقتلُ أسيري، ولا يقتلُ رجلٌ من أصحابي أسيره. قال: فقدِموا على رسول الله ﷺ فذُكر له صنيع خالد. فقال؛ ورفع يديه ﷺ: «اللَّهُمَّ إنّي أُبْرَأ إليك مما صنع خالد». مرتين. أخرجه البخاري[1].

وقال ابن إسحاق[2]: حدّثني حكيم بن حكيم بن عَبّاد بن حُنَيْف، عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: لما فتح رسولُ الله ﷺ مكةَ بعث خالد بن الوليد، فخرج حتى نزل ببني جَذِيمة، وهم على مائهم، وكانوا قد أصابوا في الجاهلية عمَّه الفَاكِه بن المغيرة، ووالد عبدالرحمن بن عَوْف؛ فذكر الحديث، وفيه: فأمر خالد برجال منهم فأُسِروا وضُربت أعناقهم. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ إنّي أبْرَأ إليك ممّا عَمِل خالد بن الوليد». ثم دعا رسول الله ﷺ عليّاً فقال: «اُخْرُجْ إلى هؤلاء القوم، فأدِّ دماءهم وأموالهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك». فخرج عليٌّ، وقد أعطاه رسولُ الله ﷺ مالاً، فَوَدَى لهم دماءهم وأموالهم، حتى إنه ليعطيهم ثمن مِيلَغَة[3] الكَلْب، فبقي مع عليٍّ بَقِيّة من مال، فقال: أعطيكم هذا احتياطاً لرسول الله ﷺ فيما لا يعلمُ رسولُ الله ﷺ، وفيما لا تعلمون. فأعطاهم إياه، ثم قَدِمَ على رسولِ الله ﷺ وأخبره الخبر، فقال: أحْسَنتَ وأصَبْتَ.

---

(١) البخاري ٥/ ٢٠٣.
(٢) ابن هشام ٢/ ٤٣٠.
(٣) أي: الإناء الذي يلغ الكلب فيه.

وقال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق[1] : حدّثني يعقوب بن عُتْبة ابن المُغيرة، عن الزُّهْري، قال: حدّثني ابن أبي حَدْرَد، عن أبيه، قال: كنتُ في الخيل التي أصاب فيها خالد بني جَذِيمة، إذا فتىً منهم مجموعةٌ يَدهُ إلى عُنقِه بِرُمَّةٍ ـ يقول: بحَبلٍ ـ فقال: يا فتى، هل أنت آخذٌ بهذه الرّمَّة فمُقَدِّمي إلى هذه النِّسْوة، حتى أقضي إليهنَّ حاجة، ثم تصنعون ما بدا لكم؟ فقلت: ليَسيرٌ ما سألتَ. ثم أخذتُ برُمَّته فقدَّمته إليهنَّ، فقال: أسلم حُبَيْش، على نفاد العيش، ثم قال:

أرأيت إنْ طَالَبْتُكم فَوجَدْتُكم ... بِحَلْيَةَ أوْ أدْرَكْتُكُمْ بالخَوَانِق
ألَمْ يَكُ حَقّاً أنْ يُنَوَّلَ عاشِقٌ ... تَكَلَّفَ إدْلاَجَ السُّرَى والوَدَائِق[2]
فلاَ ذَنْبَ لي، قَدْ قُلْتُ، إذْ أهْلُنا مَعاً ... أثيبي بوُدٍّ قَبْلَ إحْدَى الصَّفَائِق[3]
أثيبي بوُدٍّ قَبْل أنْ تَشْحَطَ النَّوَى[4] ... وَيَنْأى الأمِيرُ بِالحَبِيبِ المُفَارِق
فإنِّيَ لاَ سِرٌّ لَدَيَّ أضَعْتُهُ ... وَلاَ رَاقَ عَيْني بَعْدَ وَجْهِكِ رَائِق
عَلَىَ أنَّ ما نابَ العشيرةَ شَاغِلٌ ... عَنِ اللَّهْوِ إلاَّ أنْ تَكُونَ بَوائِق[5]

فقالت: وأنتَ حُيِّيتَ عَشْراً، وَسَبْعاً وِتْراً، وثمانياً تَتْرَى. ثم قَدَّمْناه فضربنا عنقه.

قال ابن إسحاق[6] : فحدّثنا أبو فِراس الأسْلَميّ، عن أشياخٍ من قومه قد شهدوا هذا مع خالد؛ قالوا: فلما قُتل قامتْ إليه، فما زالت تَرْشُفُه حتى ماتت عليه.

---

(١) ابن هشام ٢/ ٤٣٣.
(٢) الإدلاج: السير ليلاً، والودائق: شدة حَرِّ الظهيرة.
(٣) الحوادث والخطوب.
(٤) تشحط: تبعد، والنوى: البُعْد.
(٥) أي: البلايا والدواهي التي تنزل بالقوم.
(٦) ابن هشام ٢/ ٤٣٤.